**المحاضرة الثانية : اللغة و المجتمع و الثقافة**

**أولا : اللغة :**

**1 - اللغة في الأصل اللغوي :**

ذكر ابن منظور عن الأزهري قوله : " و اللغة من الأسماء الناقصة ، و أصلها لغوة من لغا إذا تكلم " ، و قال الجوهري : " و اللغة أصلها لغى أو لغو ، و الهاء عوض ، و جمعها لغى مثل برة و برى و لغات أيضا ، و قال بعضهم : " سمعت لغاتهم بفتح التاء ، و شبهها بالتاء التي يوقف عليها بالهاء ، و بالنسبة إليها لغوي ، و لا تقل لغوى . و جاء عند ابن فارس في مادة ( لغو ) اللام و الغين و الحرف المعتل أصلان صحيحان أحدهما يدل على الشيء لا يعتد به ، و الآخر على اللهج بالشيء ... و الثاني قولهم : " لغي بالأمر إذا لهج به " ، و يقال أن اشتقاق اللغة منه أي يلهج صاحبها بها ، فمن خلال هذه التعريف المعجمية للغة نجد أنها تدل على الكلام و النطق . [[1]](#footnote-2)

**2 - التعريف الاصطلاحي للغة :**

يرى اللِّساني الأمريكي المعاصر "إدوارد سابير" أن اللغة:"وسيلةٌ إنسانية خالصة وغير غريزية، لتوصيلِ الأفكار والانفعالات والرغبات، بواسطة رُموز تَصْدُرُ اختياريا". وفي هذا التعريف عيوبٌ كثيرةٌ منها، أننا مهما توَسعنا في معاني (أفكار، انفعال، رغبة)، فإن هناك كثيرا من الأنظمة التي تتكون من رموزٍ تَصْدُرُ اختياريا، ولا نَعدُّها لغاتٍ إلا فيما نشعر أنه تَوَسُّعٌ في معنى كلمة "لغة"، أو أنه استعمالٌ مجازيٌّ لها، فقد يتماشى ما يُعرف اليوم بلغة الجسد مع هذه النقطة في تعريف "سابير" مثلا، غير أننا نَشُكُّ أيضا في صحة الدعوى بأن ما يَصِحّ تسميتُه بِلغاتٍ، هو أيضا خاصية إنسانية وغير غريزية في آن معا.

وهو ما كتبَهً اللسانيَّان الأمريكيَّان المعاصران: "بلــوش وتريتـجـر، يقول التعريف: "أن اللغة نِظام من الرموز الصوتية العشوائية التي تتعاون عن طريقها جماعة ما". وهذا التعريف، لا يُشير إلاّ بصورة ضمنيَّة وغيرِ مباشرة إلى الوظيفة الابلاغية للغة، وذلك على النقيض من تعريف "سابير"،  ويُلحّ هذا التعريف على الوظيفة الاجتماعية للغة، وبذلك يَنظر هذا التعريف نظرة أكثرَ حَصْرا للدور الذي تلعبه اللغة في المجتمع، كما يختلف هذا التعريف عن تعريف "سابير" بذكر خاصية العشوائية، واقتصارِ اللغة على الَمحكي دون غيره، وبالتالي فإن اللغة المكتوبة مَقصِيّةٌ في هذا التعريف، كما أن مصطلح العشوائية في هذا التعريف استُعمل بشكل خاص نوعا ما.

يُعرِّف اللساني الأمريكي المعاصر "روبرت هـول" اللغة فيقول: "إن اللغة هي الكيان الذي يتواصل به بنو البشر، وبه يتفاعلون مستخدمِين رموزا نُطقية سمعية عشوائية ثَمَّ التعوُّدُ على استعمالها". ينظر "هــول" مثل "سـابر" إلى اللغة باعتبارها كيانا إنسانيا خالصا، كما أن "هول" أفردَ خاصية العشوائية بالذكر الصريح، وأبرزُ ما يُثيرُ في هذا التعريف، هو استخدامه لعبارة "تعوّدَ على استعمالها" ولعل لهذا الاستعمال أسبابا تاريخية تتمثل في تأثر كثيرٍ من اللسانيين بنظريات الإثارة والاستجابة، التي قال بها السلوكيون، حيث اكتسب لفظ "عادة" معنى خاصا في الإطار النظري للمدرسة السلوكية، إذ ثم استعمالُ هذا اللفظ، للإشارة إلى بعض التصرفات السلوكية، التي كان يُنظر إليها على أنها استجابات متوقَّعة إحصائيا لمُثيراتٍ معينة. ومِن المُسَلَّمِ به الآن، أنَّ إمكانية تطبيق النظرية السلوكية في مجاليْ عِلم اللسانيات العامة واللسانيات النفسية محدودٌ جدا، هذا إن كانت صالحة للتطبيق فيهما أصلا. إيراد الاتصال والتفاعل كليهما في التعريف، والتفاعل أشمل من التعاون، كما يمكن عد عبارة " نطقي ـ سمعي" مرادفا تقريبيا لـ "صوتي"، ولا يختلف عنه إلا بإشارتِه إلى السامِع والمتكلِّم كليْهِما، أي (المستقبِل والمرسِل للإشارات الصوتية التي نَعُدُّها كلاما).

من الواضح أنه ليس هناك مِن معنى لكلمة "عادة" إنْ اصطلاحيا أو غيرَ ذلك، إن مِن أهم الحقائق التي يجب أن نَعْرفها عن اللغة، أنْ ليس هناك في الغالب ارتباطٌ بين الكلمات والمواقف التي تُستخدم فيها هذه الكلمات، بحيث يمكن التنبؤ بصدور كلمات مُعينة في مواقفَ معينة، كما هو الحال في السلوك الذي تُمليه العادة. فنحنن مثلا لا نَنْطق تعبيرا يحتوي كلمة "سماء" كلما كنا نتحدث ونحن ننظر إلى السماء، وذلك لأن اللغةَ حُرة في الارتباط بالمثير. أما كلمة "رموز" فربما عَنى بها "هــول" الإشارات الصوتية التي تَنتقلان (فِعلا) من المُرسِل الى مُرسَل إليه أثناء الاتصال والتفاعل. [[2]](#footnote-3)

**ثانيا : اللغة و المجتمع :**

      إن أعظم اكتشاف الإنسان على مرّ العصور هو اللغة، فهي ابرز ما يميزه عن غيره من الحيوانات، ومن حسن الصنيع أن نعرّف الإنسان بأنه الحيوان القادر أو الخلق البشرى. فاللغة وسيلة اجتماعية، وأداة للتفاهم بين الأفراد والجماعات، فهي صلة الفرد في مواجهة كثير من المواقف الحيوية التي تتطلب الكلام أو الاستماع أو الكتابة أو القراءة، وهذه الفنون الأربعة أدوات هامة في إتمام عملية التفاهم من جميع نواحيها، ولا شك أن هذه الوظيفة من أهم الوظائف الاجتماعية للغة. [[3]](#footnote-4)

      والمجتمع حريص أشد الحرص على أن يجعل الفرد عضواً فيه وان يصبغ هذا الفرد في فكره وفى سلوكه بصبغته، واللغة هي الأداة التي يستخدمها المجتمع لتحقيق هذا الهدف. ومن الواضح أن المجتمع بكل أشكاله يقوم بهذا الدور، فالبيت والمدرسة والنادي.. ما هي إلا بيئات يتلقى فيها الفرد أنماط السلوك وقواعد اللغة، وبهذه الطريقة يكتسب الفرد شخصيته الاجتماعية فيكون عضواً فعالاً، كما يكتسب لغته فيتحدث بها وقفاً لعرف الجماعة التي ينتمي إليها. [[4]](#footnote-5)

يقول الرافعي أنّ "اللغة بنت الاجتماع، فهو يتحدّث عن العرب المحدثين **-**وهم يطلقون على السينما أول ما عرفوها "دارالخيّالة" وعلى الهاتف "المسرّة" وعلى "الدرّاجة" فيأول عهد القرويين بها "الحمار الحديد"، وعلى جهازالكمبيوتر "الحاسب الآلي" لسابق عهدهم بالحساب.وقد يختلف أهل لهجات اللغة الواحدة في تسميةنفس الاختراع كما حدث مع "الموبايل" الذي سمّاهبعض العرب "الهاتف الجوّال"، وغيرهم "الهاتفالمحمول" أو "المتحرّك"، وسمّاه آخرون "الهاتفالمصاحب"، وسمّاه عدد منهم "الخليوي" ربّما نسبةإلى عبارة *cellular phone.*

هكذا، تضطر الحاجة البشر إلى استيراد بضائع وأدوات من أماكن بعيدة لم يعرفوا لها أسماء فينحتوا لها أسماء بالقياس على ما يعرفون، أو يستعيروا معها أسماءها وأوصافها وطرائق استعمالها ( في قاموس اللغة الإنجليزية ما لا حصر له من المفردات المستعارة من كلّ لغات العالم تقريبا(. ولأنّ لغات البشر تتفق في المفردات الرئيسة، يصبح من الصعب أحيانا حسم أسبقية جماعة لغوية على غيرها في نحت كلمة أو استحداثها )هل " اللغة" كلمة عربية من "لغو"، أم هي تعريب " لوغوس" الإغريقية؟ وهل "قرن" بدأت عربية ثم سافرت إلى أوربا لتصبح horn أم حدث نقيض ذلك؟ وكذا "الفردوس" و paradise . في حالات كثيرة، يحسم ارتباط المفردة بحضارة أو ثقافة مسألة السبق، فالقطن المصري العربي سافر إلى الغرب ليصبح cotton وكذا فعلت مفردات "الجمل" camel و"الجبر" algebra و"اللوغاريتمات" algorithms . ولا بدّ أنّ عوامل إنسانية لا طبيعية أخرى منها **–** معاداة الأجانب والرغبة في التميّز والتفرّد كان لها **-** أثر في اختلاف النطق والتنغيم من مكان إلى مكان. بالإضافة إلى إسهابه في **-** حصر الألفاظ المستعارة في اللغة العربية في مختلف العصور طريقة تستند إلى المشابهة وإلى السبق في **–** تحديد أصول المفردات، ويضرب لذلك مثلا كلمة " المسك" الموجودة في العربية والفارسيّة والسنسكريتية، وينتهي إلى أنّ أصلها من السنسكريتية، حيث حملها أهل الهند معهم إلى بلاد العرب

ولأنّ اللغة كائن حيّ، نستطيع في كلّ مراحل الكلام عن نشأة اللغات وتطوّرها أن نقيسها إلى العائلات والسلالات البشريّة، وتستعار الشجرة للتعبير عن العائلات البشرية والعائلات اللغويّة **–** جدّ أكبر ينجب أبناء وبنات يتزاوجون وينجبون حفدة تكبر العائلة وتتفرّع إلى عائلات تكبر بدورها وتتفرّع إلى عائلات. والأصل في تشعّب اللغات تشعّب الجماعات

كما يقول الرافعي، " فالذي ينفق حياته **–** في قريته الصغيرة لا يفارقها لا يلتحم بغيرها منالجماعات أغلب الظنّ أن لغته لن تتغيّر عن لغةلغة سلفه . أمّا الذي يخرج منها بالسفر أو الاطلاع على خبرات غيرها من المجتمعات فسوف تتسرّب إلى لغتهمفردات جديدة وقد يلحق اللحن بلهجته ولنضربلذلك مثلا بأهل صعيد مصر، من ينفق منهم حياتهفي قريته الصغيرة لا يبرحها، ومن يسافر منهم إلىالعاصمة، ومن يسافر منهم إلى بلد عربي أو أجنبي. لايستوون. [[5]](#footnote-6)

**ثالثا : اللغة و الثقافة :**

اللغة والثقافة لها علاقة كورديناتيف، وهو نفس موقف العلاقة متساوية. و نجد أن " ماسينامبوو" في وصفه للعلاقة بين اللغة و الثقافة يشير إلى أن الثقافة واللغة هما عبارة عن " نظام متأصل في البشر، فإنه يصعب غالباً حتى تحديد أنتاركيدوانيا العلاقة نظراً لأن بعضها البعض تتعايش و تسير جنبا إلى جنب.

وهناك نوعين من اللغة والعلاقات الثقافية، وهي : أولا اللغة جزء من الثقافة ، و ثانيا السلالات أي شخص ثقافة التعلم من خلال لغتها الموسمية.

اللغة هي وسيلة للحفاظ على التراث الثقافي. ثقافة سوف تكون قادرة على فهم وأفهم و يفهمون لغة التدريس والثقافة لدى المتلقي .لو أن في الواقع كثيرا ما تنشأ. ويرى " كيبوادا" أن الثقافة هي ولد بسبب اللغة، ودون اللغة لن يكون هناك ثقافة. إن العلاقة الوثيقة بين اللغة والثقافة كانت ولا تزال محل اهتمام عدد كبير من العلماء في مختلف أنحاء العالم. في أواسط القرن العشرين بالتحديد لقي هذا الأمر اهتماما منقطع النظير من قبل الباحثين، الأمر الذي أدى إلى ظهور دراسات عديدة مكرسة لبحث وتحليل هذه الظاهرة متعددة الجوانب. و أحد هذه الأبحاث خلص إلى أن اللغة تقوم بعكس الواقع المعاش لتالي فان الثقاقة هي جزء لا يتجزأ من الواقع و اللغة هي انعكاس للثقافة. هذا يعني انه عند حدوث تغيرات ما في الحياة فان هذا الأمر ينعكس في الثقافة ثم في اللغة.

تزداد هذه العلاقة تعقيدا عند دراسة اللغات الأجنبية. ومرد ذلك إلى انه عنددراسة لغة أجنبية ما تنشأ لدى الطالب منظومة لغوية وثقافية جديدة تختلف تماما عن منظومته الأم. هذا الأمر يجعله يرى العالم بطريقة مختلفة ويؤدي إلى اأن ينشأ لديه، أي لدى الطالب تصور جديد للحياة يختلف عن تصوره المرتبط بثقافته و لغتة اختلافا جذر الأم .

وعند تحليل هاتين المنظومتين الجديدتين أثناء العملية التعليمية يتضح جليا أن الطالب يستوعب اللغة ويتقبلها بشكل أفضل و أسرع من استيعابه وتقبله لثقافة هذه اللغة. وهنا لابد أننطرح التساؤل التالي: لماذا يتجاوز الطالب الحاجز اللغوي بشكل سلس في حين انه عند محاولته فهم الثقافة يصادف صعوبة الحاجز الثقافي؟ تقدم الباحثة الروسية " تيرميناساا " شرحا لهذه الظاهرة قائلة : "إن الحاجز الثقافي، بخلاف الحاجز اللغوي، غير مرئي وغير محسوس و فان الاحتكاك أو التلاقي مع الثقافات الأخرى دائما ما يحدث بشكل فجائي. يتم التعامل مع أمر فطري وبديهي جبل الثقافة الأم على الشخص مثل قيامه بعملية التنفس، يتعامل معها و كأنها هي المنفذ الوحيد الشخص مع ثقافته .أما الثقافة .فهي الوعاء الذي من خلاله يرى العالم. الوعي الأم ما هي إلا واحدة من ضمن ثقافات متعددة من خلال التعرف والاطلاع على الثقافات الأخرى ."

إن تعلم اللغات أو تعليمها بمعزل عن الثقافة أمر غير مجد وغير مفيد على الإطلاق، الثقافة فهي ملازمة للفرد لا تنفك تفارقه،والدليل على ذلك أنه إذا أردنا أن نقيم شخصا من الناحية اللغوية نركز على ومدى إجادته للغة فان هذا الأمر لا يقتصر فقط على إتقانه للغة ولكن يتعداه إلى مدى معرفته الثقافية للشعب الذي يدرس لغته.

لقد أثبتت التجربة أن معرفة الطالب ولو بشكل بسيط للشعب الذي يدرس عاداته و تقاليده و يدرس لغته تولد لدى صاحب اللغة احتراما وتقديرا لهذا الطالب.

في عالمنا الحديث الذي يشهد تواصلا مكثفا وسريعا بين الشعوب و الأعراق و الثقافات المختلفة يجدر بنا أن ننفتح على هذه الأطياف الأخرى ونقبل المفيد منها ولا نتعامل مع السيئ، ولابد كذلك أن نعرف بديننا وثقافتنا. يجب أن نتخلص من الحاجز الذي بني على أساس مغلوط و يجب بالتالي التعاطي مع الثقافات الأخرى

. إن وسائل الاتصال الحديثة تقدم لنا فرصة ذهبية للتعريف بأنفسنا ولتصحيح بعض المعلومات الخاطئة عنا. . لتحديد، ما يجب أن يعرف الجميع، والطالب نافذة من بين آلاف النوافذ لذلك .[[6]](#footnote-7)

1. عبد القادر علي زروقي : **الجماعات اللسانية من منظور علم اللغة الاجتماعي دراسة في المفهوم وآلية البحث** ، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، العدد 35 ، سبتمبر 2018 ، ص 997 [↑](#footnote-ref-2)
2. ## الحسين بشوظ : مفهــوم اللّـغــة مِن المَنظور اللّسـانيّ ، منظمة المجتمع العلمي العربي

   ## ( 14/04/2022 - https://arsco.org/article-detail-95-8-0 )

   [↑](#footnote-ref-3)
3. عبد العليم إبراهيم:  **الموجة الفنى لمدرسى اللغة العربية**, دار المعارف, مصر, الطبعة العاشرة, 1978, ص. 44 [↑](#footnote-ref-4)
4. محمد حسن عبد العزيز**: مدخل الى اللغة, دار الفكر العربى**, القاهرة, بدون طبعة ، 1988, ص. 157 [↑](#footnote-ref-5)
5. بهاء الدين محمد مزيد : **اللغة والثقافة والإدراك : تأصيل العلاقة، مع الإشارة إلى بعض تجليّاتها وثمراتها** ، مجلة أبوليوس ، المجلد 08 ، العدد 01 ، 2021 ، ص 161 ، 162 [↑](#footnote-ref-6)
6. مقال ب**الجامعة الإسلامية الحكومية بنجكولو**،2022 **،** ص 04 - 07 [↑](#footnote-ref-7)